القرآن الكريم وأثره في التفوق اللغوي والعلمي

"طلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي أنموذجا"

The Holy Quran and its Impact on Linguistic and Scientific Excellence "students of Zaouia Tijania in Temacine and El Oued as a case of study

أمينة تجاني *

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

amina-tedjani@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/10 تاريخ القبول 2024/04/23 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر حفظ القرآن الكريم في التفوق اللغوي والعلمي لدى طلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي الحافظين لكتاب الله أو لجزء منه، والمتمدرسين بالمرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وذلك من خلال ربط معدلاتهم الفصلية ومعدلات مادتي؛ اللغة العربية والرياضيات المتحصّل عليهما في الفصل الأول والثاني من العام الدراسي 2022/ 2023 بمدى الحفظ. وقد استخدمت الدراسة سجلات النتائج الدّراسية للمتعلمين، وذلك بتطبيق هذه الأداة على عيّنة تكوّنت من مائة وعشرين (120) حافظا وحافظة للقرآن الكريم ملتحقين بالزوايا التجانية بتماسين والوادي. وبعد التحليل أظهرت النتائج أثرا إيجابيا وتفوقا واضحا في المستوى اللغوي والعلمي للمتعلمين الحافظين للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ الزاوية التجانية؛ أثر القرآن الكريم في التفوق اللغوي؛ أثر القرآن الكريم في التفوق العلمي؛ أثر القرآن الكريم في التحصيل الدراسي.

* المؤلف المراسل

Abstract:
This article aims to uncover the impact of memorizing the Holy Quran on the linguistic and scientific excellence of elementary, middle, and secondary school level learners who have memorized the entire Quran or a portion of it, as well as those enrolled in Zaouia Tijania. This will be achieved by examining their quarterly grades in the subjects of Arabic and Mathematics obtained during the first and second semesters of the academic year 2022/2023, and correlating them with the level of memorization. We utilized the academic records of the learners in this study, applying this tool to a sample of one hundred (120) male and female learners enrolled in Zaouia Tijania in Témacine and El Oued and studying in different educational stages.
a***key words:***
Holy Quran; Zaouia Tijania; The impact of the Holy Quran on inguistics excellence; the impact of the Holy Quran on scientific excellence; the impact of the Holy Quran on scientific excellence academic achievement

مقدّمة:

إن القرآن الكريم هو كلام الله الأزلي القديم، وخطابه لأمة محمد –صلى الله عليه وسلم– وصراطه السّوي المستقيم، ومنهجه الذي ارتضاه لعباده المؤمنين، فهو المنهج الرباني القادر على صناعة الإنسان صناعة متكاملة تشمل جميع النواحي؛ العلمية واللغوية والنفسية والجسدية والاجتماعية... فهو ليس كتابا مقدّسا تعبّديّا فحسب، بل يمثل ثقافة حياة شاملة.

وهذا ما جعل المسلمون في كل زمان ومكان يغترفون من بحره؛ حفظا وترتيلا، فهما وتدبّرا، تعلّما وتعليما ودراسة. ويحرصون على تعليمه لأبنائهم، وفي ذلك يقول ابنُ خلدون في (مقدمته): "اعلمْ أن تعليمَ الولدان للقرآن شعارٌ من شعائر الدِّين، أخذَ به أهلُ الملّةِ ودَرَجوا عليه في جميعِ أمصارِهم، لِمَا يَسبِقُ فيه إلى القلوب من رسوخِ الإيمانِ وعقائِدِه من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث"[1]. فالقرآن الكريم يعدّ أوّل المدارس اللغويّة والعلمية التي يغترف منها المتعلم اللغة العربيّة والأدبيّة والعلوم بشتى أنواعها، لقوله

تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل،89).

فهو الأساس وأصل كل تعليم كما يقول ابن خلدون: "القرآن أصلُ التعليم الذي يَنبَنِي عليه ما يحصل بعدَه من المَلَكَات"[2]. ولا يعني ذلك أنّه يقتصر على المهارات اللغوية الأربعة؛ السماع والتحدث والقراءة والكتابة كما يظن البعض، بل يتعدّاها إلى مهارات التفكير والاستدلال والتذكّر، الحفظ وغيرها.

وهذا يدعونا إلى الاهتمام بتعليم القرآن الكريم أكثر في هذا العصر، واستخدام نصوصه في كل المراحل التّعليمية للحصول على نتائج أفضل للمتعلمين على المستوى؛ اللغوي والعلمي وحتى الأخلاقي والسلوكي، وفي ذلك يقول الشيخ محمد العيد التجاني: "وقد علمتنا التّجربة أنّ المتفوّقين في المدرسة النّظاميّة هم أولئك الذين مرّوا على المدرسة القرآنيّة، فَحَوَتْ صدورهم آيات وسور القرآن الكريم، وشملتهم بركة هدايته وإرشاده، فقوّم ألسنتهم وهذّب سلوكهم ومعاشرتهم، ووسّع آفاقهم، فَلْتَكُنْ وِجْهَة أبنائنا الكتاتيب يعمّروها وينهلوا من خيرها"[3].

من هذا المنطلق وامتثالا لوصية الرسول –صلى الله عليه وسلم– بالعناية بالقرآن وحفظه وفهم معانيه، واقتداءً بالسلف الصالح من الصّحابة الكرام والتابعين وتابعيهم رغبت الباحثة بإقامة دراسة معمّقة حول علاقة القرآن الكريم بالتفوق الدراسي؛ اللغوي والعلمي، واختارت الزاوية التجانية لسعيها الحثيث لتعليم القرآن الكريم للناشئة في جميع زواياها التي توزعت في كل ربوع الوطن. وقد ركزت الباحثة في دراستها على ولايتين فقط؛ زاوية تماسين بتقرت وبعض الزوايا التجانية بالوادي، وذلك لقرب هاته الزوايا من إقامة الباحثة حتى تتمكن من الدراسة الميدانية وتكون النتائج أكثر دقّة.

إشكالية الدراسة:

إن ضعف التحصيل الدراسي الذي يعاني منه المتعلمون في جميع المراحل التعليمية ما قبل الجامعي، والذي غالبا ما يؤدي إلى التخلف الدراسي والتسرب المدرسي، دقّ ناقوس الخطر بالجزائر، ورغم الجهود المبذولة في هذا المجال إلا أن الكثير من المتعلمين لا يزالون يعانون من هذه المشكلة.

وقد يكون الحل في تدريس القرآن الكريم كمادة أساسية في مختلف الأطوار التعليمية، وذلك لما حقّقه من نتائج إيجابية على أرض الواقع على مرّ العصور، وما يؤكّد ذلك كثرة العلماء الذين نبغوا في مختلف العلوم والذين حفظوا القرآن قبل سن العاشرة كالشافعي والنووي وابن حنبل وغيرهم. فالمسلمون الأوائل حرصوا على حفظ القرآن الكريم وتجويده وفهمه ودراسته، كما حرصوا على تلقينه أبناءهم لما يحويه من ألفاظ وأساليب ومعان تعدّ الرّكيزة الأساسية في إكساب الأطفال لغتهم وتنميتها، إلا أنّنا في هذا العصر نجد:

- ✓ أن هناك من يجعل القرآن الكريم وحفظه سببا في تخلف الأمة الإسلامية، وسببا في التأخر الدراسي وينادون بتعليم العلوم واللغات الأجنبية.
- ✓ نقص عدد الطلبة بالمدارس القرآنية والزوايا خلال فترة الدراسة النظامية، وزيادة عددهم في العطل المدرسية وخاصة فترة الصيف.
- ✓ عزوف الأولياء عن إرسال أبنائهم للمدارس القرآنية والزوايا بسبب تخوفهم من تدني مستوياتهم التعليمية في الدراسة النظامية بسبب انشغالهم بحفظ القران الكريم وبقائهم لساعات طويلة في الفترة المسائية من أجل الحفظ والمراجعة، الأمر الذي يرسّخ في أذهان الطلبة أن تعلم القرآن شيء ثانوي يمكن الاستغناء عنه أو دراسته في أوقات الفراغ.

مع أنّ هناك كثيرا من الدراسات التي تم إجراؤها تثبت تفوق الطلبة الذين يحفظون القرآن على غيرهم، وهذا ما تحاول الباحثة إثباته من خلال هذه الدراسة.

وبناء على ما تقدّم نطرح الإشكالية الرئيسة الآتية:

ما أثر حفظ القرآن الكريم في التفوق اللغوي والعلمي لدى طلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي من خلال معدّليْ مادّتيْ اللغة العربية والرياضيات؟

فرضيات الدراسة:

- ❖ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التفوق اللغوي من خلال معدل مادة اللغة العربية بين متعلمي الابتدائي والمتوسط والثانوي الحافظين للقرآن الكريم بالزوايا التجانية.
- ❖ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التفوق العلمي من خلال معدل مادة الرياضيات بين متعلمي الابتدائي والمتوسط والثانوي الحافظين للقرآن الكريم بالزوايا التجانية.
- ❖ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التفوق الدراسي من خلال المعدلات الفصلية بين متعلمي الابتدائي والمتوسط والثانوي الحافظين للقرآن الكريم بالزوايا التجانية.

أهداف الدراسة:

- ✓ الكشف عن الفوائد التعليمية لحفظ القرآن الكريم في الجانب اللغوي والعلمي.
- ✓ إبراز أهمية حفظ القرآن الكريم في العملية التعليمية وأثره في تحسين مردودها.
- ✓ دعوة القائمين على إعداد المناهج الدراسية في جميع الأطوار الدراسية إلى ضرورة إدراج القرآن الكريم كمادة دراسية أساسية ضمن المناهج التعليمية.
- ✓ توعية أولياء الأمور بالدور المهم والإيجابي الذي تقوم به الزوايا والمدارس القرآنية في دعم التحصيل الدراسي لأبنائهم، ودفعهم نحو التفوق اللغوي والعلمي.

حدود الدراسة:

الحدود البشرية: طلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي.

الحدود الزمنية: تتمثل في الفصل الدراسي الأول والثاني للعام الدراسي 2022/ 2023.

الحدود المكانية: الزاوية التجانية بتماسين، بعض الزوايا التجانية بالوادي؛ زاوية سيدي الطاهر، المجمع الثقافي للزاوية التجانية بالرقيبة، المجمع الثقافي للزاوية التجانية بالهمايسة، حاسي خليفة.

منهج الدراسة:

بما أن البحث العلمي يتميز بتعدد مناهجه، فإن نوعية الدراسة وطبيعة الظاهرة هي التي تحدد المنهج المناسب، ولكون هذه الدراسة ميدانية فإن المنهج المتبع هو المنهج الوصفي مع الاستعانة بالتحليل كإجراء لوصف الوضع الحالي وتفسيره، إلى جانب المنهج التجريبي الذي يوفر للباحث العديد من التصميمات التي يمكن استخدامها مع عينات البحث والتعامل مع المجموعات المستهدفة وضبط متغيراتها، والمنهج الإحصائي الذي يساهم في إعطاء الدقة للنتائج، ما ينعكس إيجابا على البحث؛ إذ يكون أكثر مصداقية.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات السابقة التي تناولت أثر حفظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي، وستذكر الباحثة بعض الدراسات التي استفادت منها، وهي:

دراسة زيد بن علي الغيلي (2006): التي تناولت "أثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الثانوية في الجمهورية اليمنية"، وذلك من خلال معدلاتهم التراكمية في الصف التاسع قبل التحاقهم بالمراكز القرآنية ومعدلاتهم التراكمية بعد التحاقهم بها، وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية للطلبة قبل حفظ القرآن وبعده لصالح الطلبة بعد الحفظ، وأوصت الدراسة بضرورة تشجيع الطلبة على الالتحاق بالمدارس القرآنية.

دراسة صدقاوي كمال، فقير بهية وقداش أحلام (2017): والمعنونة بـ "أثر حفظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية –دراسة ميدانية في

بعض المدارس الابتدائية بولاية تيسمسيلت وتيارت"، وذلك من خلال التركيز على معدلات التلاميذ في مادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية، وقد أكدت النتائج على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تلاميذ المرحلة الابتدائية الحافظين للقرآن الكريم وغير الحافظين له لصالح التلاميذ الحافظين.

دراسة سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني (2019): والموسومة بـ "حفظ القرآن الكريم ودوره في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها"، والتي تهدف إلى إبراز فضل القرآن الكريم وأثره في تعلم اللغة العربية، حيث ركزت على الناطقين بغير العربية، وأظهرت نتائجها أن لحفظ القرآن الكريم أثر كبير في تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وسلامة نطقها لدى الحافظين والحافظات.

دراسة علاء بشير عبد الله العوامي (2021): التي تناولت "أثر حفظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الابتدائية –دراسة حالة لمراكز تحفيظ القرآن بالجبل الأخضر"، وقد ركزت على متعلمي المدرسة الابتدائية بالجبل الأخضر، وذلك من خلال معدلاتهم الدراسية التي تحصلوا عليها خلال العام الدراسي 2019/ 2020، وأظهرت النتائج أثرا إيجابيا وتفوقا واضحا للطلبة المنتسبين لمراكز التحفيظ.

التعليق على الدراسات السابقة:

أغلب الدراسات السابقة ركزت على أثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل الدراسي مع اختلاف عينات الدراسة بين متعلمي الابتدائي والمتوسط أو الإعدادي والثانوي، إلا أن هذه الدراسة تركز على التفوق اللغوي والعلمي لحافظي القرآن الكريم، واللذان يؤديان بطبيعة الحال إلى التفوق الدراسي بصفة عامة.

إجراءات الدراسة:

المبحث الأول: "القرآن الكريم" ويضم تعريفه لغة واصطلاحا وفضل تعلمه.

المبحث الثاني: "الزاوية التجانية" ويتناول التعريف بالطريقة التجانية وزواياها.

المبحث الثالث: "أثر القرآن الكريم في التفوق اللغوي" وهو محور تطبيقي.

المبحث الرابع: "أثر القرآن الكريم في التفوق العلمي" وهو محور تطبيقي أيضا.

المبحث الخامس: "أثر القرآن الكريم في التفوق الدراسي" وهو محور تطبيقي أيضا.

مصطلحات الدراسة:

حفظ القرآن: هو إتمام حفظ القرآن كاملا، وحافظ القرآن هو من يملك القدرة على قراءة القرآن كاملاً عن ظهر قلب دون أن يستعين بالمصحف أو غيره، ويسمّى حامل القرآن وحافظ القرآن وصاحب القرآن[4]. ويمكن تعريف حفظ القرآن في هذه الدراسة بأنه حفظ وتلاوة الطالب للقرآن كاملا أو أجزاء منه في المدارس القرآنية أو الزوايا متّبعا به أحكام التلاوة والتجويد على يد أحد الحفّاظ المتقنين.

التفوق الدراسي: هو مستوى من الإنجاز أو الكفاءة أو الأداء في التعليم المدرسي أو الجامعي، يصل إليه المتعلم خلال العملية التعليمية التي يشترك فيها العديد من المتعلمين. ويعرّف في هذه الدراسة بأنه معدل الفصل الأول والثاني المتحصل عليه من طرف المتعلمين المستهدفين بالدراسة خلال العام الدراسي 2022/ 2023.

الزاوية التجانية: تعرّف في هذه الدراسة بأنها المكان الذي يقوم فيه معلّمي القرآن الحُفّاظ المتقنين بتعليم القرآن الكريم للطلبة وتصحيح التلاوة لهم. وتعمل هذه الزوايا تحت إشراف شيخ الطريقة التجانية؛ الشيخ الدكتور محمد العيد التجاني.

المبحث الأول: القرآن الكريم

سوف نتناول في هذا المبحث تعريف القرآن الكريم وفضل حفظه وتلاوته.

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم

الفرع الأول: تعريفه لغة

ورد في (معجم لسان العرب) لابن منظور: "قَرَأَهُ، يَقْرَؤُهُ، يَقْرُؤُهُ، الأخيرة عن الزجاج، قَرْءًا وقِراءَةً وقُرْآنًا... يسمى كتاب الله الذي أنزله على نبيّه –صلى الله عليه وسلم– كتابًا

وقُرْآنًا وقُرْقانًا، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمّي قرآنًا لأنّه يجمع السُّوَر فيضمّها... وقَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا: جَمَعْتُهُ وضَمَمْتُ بعضَهُ إلى بعض... ومعنى قَرَأْتُ القرآنَ: لفَظْتُ بِهِ مجْموعًا أي أَلْقَيْتُهُ[5].

اختلف العلماء في لفظ القرآن لكّنهم اتّفقوا على أّنه اسم وليس بفعل ولا حرف، فذهب جماعة من العلماء منهم الشافعي إلى أنه اسم جامد غير مشتق ولا مهموز، وفي ذلك يقول السيوطي:

"وأما القرآن فاختلف فيه؛ فقال جماعة هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله، فهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو مروي عن الشافعي، أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز قرأت، ولا يهمز القران ويقول القران اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل... وذهبت طائفة إلى أن هذا الاسم مشتق، ثم افترقوا إلى فرقتين:

الأولى قالت: إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقا من مادة (ق ر ن) ثم اختلفوا؛ فقالت طائفة منهم الفرّاء: إنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا. وقالت أخرى منهم الأشعري: إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما، ومنه سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران"[6].

الثانية قالت: "إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضا إلى فرقتين؛ فقالت الأولى منهم اللحياني: إن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتقّ من قرأ بمعنى تلا، سمّي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر ومنه قوله تعالى: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه﴾ (القيامة،17، 18). أي قراءته. وقالت الثانية منهم الزجاج: إنه وصف على وزن فعلان مشتق من القَرْء بمعنى الجمع ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه"[7].

الفرع الثاني: تعريفه اصطلاحا

هو "كلام الله تعالى المنزّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه ومعناه، المتعبّد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، والمكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس"[8].

فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على نبيّه محمد -عليه الصلاة والسلام- وحيًا بواسطة جبريل -عليه السلام-، المحفوظ في الصدور، والمكتوب في المصاحف، والمنقول عن رسول الله ﷺ بالتواتر، والمصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، وينقسم إلى ثلاثين جزءاً، وعدد سوره مائة وأربع عشرة (114) سورة.

المطلب الثاني: فضل حفظ القرآن وتلاوته:

يمثّل القرآن الكريم منهج المسلمين ودستور حياتهم، وقانون شريعتهم، فهو النور الذي يهدي به الله عباده، لقوله تعالى: ﴿لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (المائدة،15، 16). وذلك لما يبيّنه للمسلمين من الخير والنفع والصلاح، فبفضله ينظّم المسلم سلوكه وعلاقته بربه أولا، ثم بالمسلمين ثانيا، ويعرف حدود الحلال والحرام، وكذلك الحقوق والواجبات، وسبل صيانة النفس وحفظ الدماء والأموال، ومنه يأخذ العبر وقصص الأمم السابقة.

لذا فإن قراءته من أعظم الطاعات، وأجلّ القربات، وأشرف العبادات، ويكفيه من الخيرية والفضل والرفعة قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[9]. فمعلم القرآن خير الناس وأفضلهم عند الله تعالى.

ومن فضائله الثواب والعطاء الجزيل لقارئه وتاليه في الدنيا والآخرة، لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"[10].

وأعظم العطايا علو الدرجات، فأصحابه هم السعداء والفائزون بالدرجات العلا يوم القيامة، حيث يقال لصاحب القرآن كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "اقرأ وارتق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها"[11].

المبحث الثاني: الزاوية التجانية

نعالج في هذا المبحث مفهوم الطريقة بصفة عامة، ثم الطريقة التجانية بصفة خاصة، ثم نعرج إلى التعريف بالزاوية وذكر أهم الزوايا التجانية.

المطلب الأول: الطّريقة التجانية وزواياها

الفرع الأول: مفهوم الطريقة

في اللغة هي "السّيرة، وطريقة الرجل مذهبه، يقال: مازال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة، وفلان حسن الطّريقة، والطريقة الحال"[12]. فالطّريقة هي المذهب والمنهج المتبع في العبادة من أجل الوصول إلى مرضاة الله – عز وجل–، لقوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني﴾ (يوسف،108).

وفي الاصطلاح هي عبارة عن مدرسة روحيّة تتّخذ التّعبّد والتّنسّك وسيلة لإصلاح الفرد والمجتمع.

الفرع الثاني: الطّريقة التجانية

هي الطريقة الصوفية التي أسّسها الشّيخ أحمد التّجّاني[13]؛ إذ تمثل خلاصة فكره الصّوفي، وتعرّف بأنها المنهج السّلوكي أو المنهجيّة المتّبعة لبلوغ مقصد معيّن. وبالمفهوم الصّوفي هي تصوّر تطبيقي للحياة الرّوحيّة يسعى إلى الرّبط التّوافقي بين الحقيقة والشّريعة في سبيل التقرّب إلى الله تعالى، وذلك ابتغاء تحسين المعرفة به –عز وجل– لأجل زيادة الإقبال على عبادته، لقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾ (العنكبوت،69).

المطلب الثاني: الزاوية التجانية

الفرع الأول: مفهوم الزاوية لغة

نجد في المعاجم اللغوية القديمة أن لفظة الزاوية تعود إلى الفعل انْزَوَى وزَوَى؛ حيث ذكر (ابن منظور) في (لسان العرب): "اِنْزَوَى، يَنْزَوِي: الانزواء والانطواء والبعد عن الحياة العامة والأسواق ... اِنْزَوَى القومُ بعضهم على بعض: تَدانُوا وتَضامّوا وتَقاربوا"[14]. أما (الرازي) فيرى أن الزاوية مشتقة من الفعل زَوَى: "زَوَى الشّيءَ يَزْويهِ زَيًّا: جمعه وقبضه. وفي الحديث (زُوِيَتْ لي الأرض فأُريتُ مشارقها ومغاربها)، وانْزَوَتْ الجلدة في النار: اجتمعت وتقبّضت"[15].

يشير المعنى الأول –حسب ابن منظور– إلى أن الزوايا كانت تُبنى في الأماكن النّائية؛ القرى والأرياف البعيدة عن صخب المدن وضوضائها، وذلك للتفرغ للعبادة. ويوحي المعنى الثاني بالتقارب والتضامّ والاجتماع، وهو قريب من المعنى الذي أورده (الرازي)، فالزاوية تزوي المريدين أي تجمعهم في مكان واحد للعبادة.

وأما في المعاجم الحديثة نجد في (المعجم الوسيط): "زاوية البيت: ركنه، لأنها جمعت بين قطرين منه وضمت ناحيتين، وفي علم الهندسة الفرجة المحصورة بين خطّين متقاطعين يسمّيان الضّلعين، والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر، ومأوى للمتصوّفين والفقراء"[16].

المعنى الأول يحيلنا إلى معنيين؛ أمّا الأول فركن البيت وهو العمود الذي يقوم عليه، وهذا يعني أن الزاوية هي العمود الذي يقوم عليه المجتمع. وأمّا الثّاني فهي مكان وركن متّخذ للعبادة.

والمعنى الثاني هندسي يشير إلى أن الزاوية تمثل ناتج اتحاد شعاعين لهما نقطة البداية نفسها؛ رأسها، ويسمى الشعاعان ساقيْها، وهذا المعنى يدل على الإشعاع الروحي الذي ينبثق من الزاوية، فهي مركز إشعاع روحي ينفتح على كل العالم.

مما سبق يتضح أن معنى الزاوية قديما ارتبط بالانزواء والاعتكاف والتجمّع، وهذه المعاني تتعلق بوظائفها، أما المعنى الحديث الهندسي فهو القريب من معناها الحقيقي؛ الانفتاح على المجتمع والعالم، وتنويره بإشعاعها الروحي.

الفرع الثاني: الزاوية في الاصطلاح

تعرّف الزاوية بأنها مأوى العباد والفقراء الصوفية وطلاب العلم، والمسجد غير الجامع الذي ليس فيه منبر، أي يتخذ للعبادة فقط ... ففي شمال القارة يُطْلق لِما خُصَّ بالأولياء. كما تعرّف بأنها مؤسسة يقوم بتأسيسها رجل ذو شأن روحي وشخصيّة معروفة بالفضيلة بمبادرة منه، مشهور بالتقوى والصلاح والعبادة، ويتولى منها مهمة الوعظ والإرشاد لمن يتردّد عليه، والإرشاد لمن يتبعه من المريدين. وتعرّف أيضا بأنها مؤسسة دينية روحية واجتماعية إسلامية، وقد أصبحت مع مرور الزمن مركزا للحياة الدينية والعلمية[17].

فالزاوية تقوم بدور المسجد حيث يجتمع فيها المسلمون لأداء الصلاة وتلاوة القرآن والأوراد، والمدرسة حيث يدرّس فيها القرآن الكريم والحديث الشريف وعلومهما وبعض العلوم الأخرى، وتناقش فيها بعض قضايا الشّرع أو التاريخ أو الدين من خلال الندوات والملتقيات، ومكتبة تزخر ذخائرها بالكتب المختلفة المعارف، ولا سيما الكتب القديمة والمخطوطات.

ويعرفها (الزاهي) بأنها مؤسّسة مركّبة من طريقة منظّمة ومتجسّدة في الواقع، تتكوّن من[18]:

- ✓ **المستوى الأوّل:** ويمثل الطّريقة؛ الطّريق والمنهج المرسوم للأتباع من طرف الشّيخ المؤسّس.
- ✓ **المستوى الثّاني:** ويمثل المستوى التّنظيمي، أي الطّريقة اتّخذت شكلا منظّما يحدّد العلاقات بين المريدين فيما بينهم، وكذا بشيخهم، مثلما يسمح بتحقيق التّواصل وضمان الوحدة.

✓ **المستوى الثالث:** ويمثل الجانب الميداني وهو الزّاوية أو الوجود المادّي في المكان والزّمان.

في حين يرى الشيخ محمد العيد التجاني –شيخ الطريقة التجانية– أن الزاوية تحوي معنيين[19]:

- **الزّاوية بالمعنى المادّي:** وهي عبارة عن مجموعة من المباني والباحات التي يجتمع فيها النّاس لأداء بعض الشّعائر الدّينيّة كالصّلاة والذّكر مثلا، وكذلك بعض المناسبات كالأفراح، ما يربط بين الأفراد والمنتسبين إلى هذه الزّاوية، حيث يتمّ هذا وفق نظام ترتيب محدّد.
- **الزّاوية بالمعنى الفكري:** وهي مجموعة من العلاقات التي تربط بين الأفراد والمجتمعات على اختلاف مستوياتهم وانشغالاتهم واختصاصاتهم، لأنّ كلّ أفراد هذه الفئات تسير في جملة فكريّة موحّدة تتمثّل في المطالب والمقاصد التي تخصّ كلّ شخص من هذه الفئات على حسب مستوى فكره وانشغاله سواء أكان أخرويّا أم دنيويّا إلا ويجده في هذه المجموعة.

الفرع الثالث: الزوايا التجانية

بعد تأسيس الطريقة التجانية عَمَدَ الشيخ أحمد التجاني إلى بناء وإنشاء الزّوايا في كلّ مكان، حيث أنشئت أوّل زاوية تجّانيّة سنة 1789م بقمار بولاية الوادي، ثمّ زاوية فاس سنة 1800، ثم زاوية تماسين سنة 1803، ثمّ زاوية عين ماضي 1816، ثمّ باقي الزّوايا في أنحاء العالم.

وقد كان يشرف على كلّ زاوية مُقَدَّم –خليفة الشيخ– والذي يُختار على حسب علوّه في العلم والصّلاح والكفاءة، فيجيزه الشيخ حتى يكون نائبا عنه في منطقته؛ إذ يعمل على بناء زاوية في حيّه أو بلديّته يجتمع فيها للعبادة والذّكر، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم اللغة العربية، ومساعدة المحتاجين... وغير ذلك من الخدمات التي تقدمها الزاوية

لمجتمعها المحلي. لذا فالزوايا التجانية لعبت دورا كبيرا في تحفيظ القرآن الكريم للنشء منذ نشأتها، وهي إلى اليوم لا تزال تحافظ على هذا الدّور في المجتمع.

المبحث الثالث: أثر القرآن الكريم في التفوق اللغوي

سوف نتناول في هذا المبحث مفهوم التفوق اللغوي، ثم تبيان دور حفظ القرآن الكريم في تحقيق التفوق اللغوي، وذلك من خلال دراسة العينة الميدانية وتحليل نتائجها.

المطلب الأول: مفهوم التفوق اللغوي:

التفوق لغة: حسب (المعجم الوجيز) مشتق من فاقَ "يقال: فاق الشيء فوقًا وفواقًا: علاهُ، ويقال: فاق أصحابه: فضلهم وصار خيرا منهم، تفوَّق على قومه، فاقهم وتفوّق: ترفّع عليهم، فوّقَ فلانا على غيره: فضّله، الفائق: الجيّد من كل شيء والفائق الممتاز على غيره من الناس"[20].

التفوق اصطلاحا: المتفوّق أو الفائق هو "الفرد الذي لديه من الاستعدادات ما يمكنه في مستقبل حياته من الوصول إلى مستويات أداء مرتفعة في مجال معين من المجالات التي يقدرها المجتمع، ومن المعايير التي يعتد بها معايير للتفوق والموهبة، والبروز في المجال الأكاديمي ومجال الفنون المختلفة، ومجال القيادة الاجتماعية..."[21].

التفوق اللغوي: يمكن تعريفه إجرائيّا بأنّه المستوى الذي يصل إليه المتعلم في تحصيله لمادة اللغة العربية؛ ويستدل عليه من خلال المعدل الفصلي للمادة المتحصل عليه بنهاية الفصل الدراسي بالمدرسة أو المعدل العام للمادة المتحصل عليه بنهاية السنة الدراسية وفقا لنظام التقويم بالمدارس النظامية.

الفرع الثاني: القرآن الكريم ودوره في التفوق اللغوي

يعدّ القرآن الكريم تنمية مستدامة للمسلمين في كل زمان ومكان، وما يدل على ذلك تلك الشخصيات الإسلامية التي تميزت وتفرّدت على أقرانها، والتي كان منبعها الأول الذي استقت منه العلوم والمعارف والسلوك والأخلاق؛ القرآن الكريم، والتاريخ الإسلامي

يعجّ بذلك سواء أكانوا علماء أم قادة جيوش وفاتحين أم حكاما وسلاطين، وهذا يؤكد لنا أهمية القرآن الكريم في التفوق العلمي ودوره في تكوين المتعلم المتفوق، والشخصية العالمة والمبتكرة والصالحة للمجتمع.

زيادة على ذلك فهو "يوازن بين متطلبات الروح والجسد، ويبين الخير وكل خلق مفض إليه، ويوضح الشر وينهي عن كل خلق موصل إليه، فجاء بذلك يراعي مصلحة الفرد في تناسق وشمول بديع مع مصلحة المجتمع"[22].

مجتمع الدراسة: يتكوّن من الحافظين والحافظات للقرآن الكريم أو لجزء منه والملتحقين بالزاوية التجانية بتماسين، والزوايا التجانية بالوادي، والمتمدرسين بمختلف الأطوار؛ الابتدائي والمتوسط والثانوي، وقد كان العدد كبيرا لأنه يضمّ الطلبة الدائمين (حضورهم يومي حتى في فترات الدّراسة النظامية) وغير الدّائمين (حضورهم في العطل فقط).

عينة الدراسة: تكوّنت من مائة وعشرين (120) حافظا وحافظة لكتاب الله أو لجزء منه، وقد تمّ اختيارهم بطريقة قصديّة؛ الحفظة الدّائمون وغير المتغيّبين عن الزاوية حتى في فترة الدراسة النظامية، وقد توزّعت العينة على أربع زوايا كالآتي: (30) بزاوية تماسين، (30) بالزاوية التجانية بالرقيبة ولاية الوادي، (30) بالزاوية التجانية سيدي الطاهر بالوادي، (30) بالزاوية التجانية بالهمايسة، حاسي خليفة، والجدول أدناه يوضح ذلك:

جدول 1: توزيع عينة البحث على المستوى الدراسي

المستوى	الزوايا التجانية بتقرت والوادي				
	تماسين	سيدي الطاهر	الهمايسة	الرقيبة	المجموع
ابتدائي	10	10	10	10	40
متوسط	10	10	10	10	40
ثانوي	10	10	10	10	40
المجموع	30	30	30	30	120

المصدر: إعداد الباحثة

أداة الدراسة: اعتمدت الباحثة في قياس التحصيل الدراسي والتفوق اللغوي والعلمي على المعدلات العامة للفصلين؛ الأول والثاني للحافظين والحافظات، وكذا معدلات مادتي؛ اللغة العربية والرياضيات للفصلين خلال العام الدراسي 2022/ 2023، وذلك بالرجوع إلى سجلات النتائج الرسمية بالمدارس النظامية.

صدق الأداة: في هذه الدراسة تم قياس التحصيل الدراسي والتفوق اللغوي والعلمي من خلال معدلات الحافظين والحافظات الموجود بالسجلات الرسمية للمدارس النظامية المتمدرسين بها، والذي يفترض أن تكون هذه الاختبارات تتمتع بدرجة من الصدق والموضوعية، لأنها معدّة من طرف الأساتذة وفقا للمنهاج المقرر.

المعالجة الإحصائية لمعدلات اللغة العربية:

نصت الفرضية الأولى على: "عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التفوق اللغوي من خلال معدل مادة اللغة العربية بين متعلمي الابتدائي والمتوسط والثانوي الحافظين للقرآن الكريم بالزوايا التجانية". وللتحقق من صحة الفرضية تم حساب النسب المئوية لمعدلات مادة اللغة العربية لأفراد العينة، وذلك باعتبار معدل التفوق ما بين (9– 10) للابتدائي، وما بين (15– 20) للمتوسط والثانوي كما هو معمول به بالمدارس النظامية، وجعلنا كل زاوية على حده. والجداول الآتية توضح ذلك:

جدول 2: معدلات اللغة العربية لحفظة القرآن بزاوية تماسين

المستوى	نسبة الطلبة المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	جيد	حسن	مقبول	المجموع
ابتدائي	%90	%10	%0	%0	%100
متوسط	%70	%30	%0	%0	%100
ثانوي	%70	%20	%10	%0	%100

المصدر: إعداد الباحثة

من خلال الجدول نلاحظ ارتفاع نسبة معدلات مادة اللغة العربية لطلبة زاوية تماسين سواء أكانوا متمدرسين بالابتدائي أم المتوسط أم الثانوي؛ إذ تتراوح نسبة المتحصلين على ممتاز بين (90%، 70%)، وهذا يعكس جليّا التفوق اللغوي لحفظة القرآن الكريم أو لجزء منه مهما كان المستوى التّعليمي، لأن القرآن يكسب المتعلم ثروة لغوية هائلة تحسّن ملكته اللغوية، "فالثراء والزيادة في مخزون المتعلم من لغته يقابله زيادة في فهمه لكثير مما يقرأ أو يسمع أو يعبّر، ويتسع وَعْيُه وإدراكه لما يحسّه بحواسّه ويدركه بعقله، كما يساعده ذلك على طلاقة لسانه واتساع مجال تعبيره"[23]. وهذا التفوّق اللغوي ينعكس إيجابا على المستوى الدّراسي بأكمله، فيحقّق تفوّقا دراسيا يبرز من خلال المعدل الفصلي أو السنوي العام.

فاللغة هي الوسيلة الأنجع لقياس قدرة الطفل على التعلم، وقياس نموّه نموّا سليما اجتماعيّا وعقليّا، فمن خلالها نتعرّف على مدى سعة تفكير الطفل ومستوى ذكائه. فاللغة وسيلة التفكير والنّمو اللغوي يمثل جزءا مهمّا يرتبط بنموّه العقلي وتطوّره المعرفي.

جدول 3: معدلات اللغة العربية لحفظة القرآن بزاوية سيدي الطاهر، الوادي.

المستوى	نسبة الطلبة المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	حسن	جيد	مقبول	المجموع
ابتدائي	%100	%0	%0	%0	%100
متوسط	%100	%0	%0	%0	%100
ثانوي	%90	%10	%0	%0	%100

المصدر: إعداد الباحثة

بناء على الجدول أعلاه نلاحظ ارتفاع نسبة معدلات اللغة العربية لطلبة الزاوية التجانية سيدي الطاهر بالوادي والمتمدرسين بالأطوار؛ الابتدائي، المتوسط، الثانوي. وهذا يدل على تفوّقهم اللغوي شأنهم في ذلك شأن زاوية تماسين.

وهذا يؤكّد على أنّ حفظ كتاب الله له دور كبير في تفوّق المتعلم، لأنّ استقاء اللغة العربية من منبعها الصّافي يثري لغة المتعلم، وينمّي تحصيله اللغوي والدراسي، ويتجاوز مهارة الكلام والتحدث بالفصحى إلى سائر مهارات التواصل الأخرى من استماع وكتابة وقراءة؛ إذ تمكن هذه الأخيرة المتعلم "من التفاعل مع النصوص والغوص في باطنها لكشف خباياها وبناء معانيها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تقوية شخصيته وتزويده بمعارف وخبرات تجعل منه طالبا فعالا في تخصصه، يستجيب لحاجياته، وتهيئه لخوض غمار البحث العلمي والإبداع الأدبي مستقبلا"[24].

ناهيك عمّا يغرسه القرآن في نفس الطفل من قيم ومُثُل وآداب يظهر آثارها في مستوى إدراكه المتميّز، وزيادة تحصيله العلمي وتفوّقه على أقرانه ممّن لم يحظوا بشرف تعلّم القرآن الكريم وحفظه.

جدول 4: معدلات اللغة العربية لحفظة القرآن بالمجمع الثقافي للزاوية التجانية بالهمايسة بحاسي خليفة، الوادي.

المستوى	نسبة الطلبة المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	جيد	حسن	مقبول	المجموع
ابتدائي	80%	20%	0%	0%	100%
متوسط	90%	10%	0%	0%	100%
ثانوي	70%	10%	20%	0%	100%

المصدر: إعداد الباحثة

نلاحظ من خلال الجدول التفوق اللغوي لطلبة الزاوية التجانية بالهمايسة بالوادي الحافظين لكتاب الله أو لجزء منه في الأطوار الثلاثة؛ ابتدائي ومتوسط وثانوي، وذلك من خلال نسبة المعدلات المرتفعة التي تعكس مدى التفوّق.

وهذا يدلّ على دور حفظ القرآن الكريم في تحقيق التميّز في الدّراسة؛ إذ أنّه يجعل المتعلم أكثر حضورا وتركيزا عند التعلم بفضل ما تعوّده على الحفظ والاستذكار والقراءة وحسن الإصغاء وأدب الاستماع، فذلك ما يساعده على الفهم وتلقّي علومه ومعارفه. فمن يحفظ عشرة أحزاب أو أكثر يستطيع أن يختزن معلومات دروسه، ويحفظ خلاصاتها، ويستذكرها عند الحاجة بفضل ذاكرته الحافظة القوية التي صقلها القرآن وطورها.

جدول 5: معدلات اللغة العربية لحفظة القرآن بالمجمع الثقافي للزاوية التجانية بالرقيبة، الوادي

المستوى	نسبة الطلبة المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	جيد	حسن	مقبول	المجموع
ابتدائي	%80	%20	%0	%0	%100
متوسط	%80	%20	%0	%0	%100
ثانوي	%70	%10	%20	%0	%100

المصدر: إعداد الباحثة

بناء على الجدول أعلاه يبدو واضحا التفوق اللغوي لطلبة المجمع الثقافي للزاوية التجانية بالرقيبة بولاية الوادي الحافظين لكتاب الله أو جزء منه في المدارس النظامية، لأن القرآن الكريم يجعل المتعلم يمتلك ملكة لغوية قوية تمكّنه من فهم واستيعاب اللغة العربية، ومن ثمة استثمارها في باقي العلوم، فاللغة مفتاح العلوم كما يقال.

وقد كان الطفل قديما يحصل على هذه الملكة من خلال احتكاكه بأفراد مجتمعه وسماعه لهم لسلامة لغتهم كما يقول (ابن خلدون): "لما كانت الملكات سليمة يسمع

كلام أهل جيله وأساليبهم في الحوار، وتركيب الجمل وأنماط التعبير عن الحاجات والرغبات والأفكار في حياتهم اليومية، كما يسمع الصّبيان اللغة واستعمال المفردات بمعانيها وتراكيبها فيتلقّاها بالسّماع والتّدريب والتّعلّم، ويؤدّيها في مواضعها على نحو ما سمع، ولا يزال سماعهم لذلك يتجدّد كل لحظة ومن كل متكلّم بلغته واستعماله لها يتكرّر دائما حتى يتحوّل هذا الاستعمال إلى ملكة، وصِفة راسخة شأنه في ذلك شأنَ من سمع منهم اللغة، فهو كأحدهم"[25].

ولكن اليوم وفي هذا العصر الذي طغى فيه استعمال اللهجات العامية المحلية بين أفراد المجتمع، لم تعد بيئة المتعلم قادرة على إكسابه ملكة لغوية، ولهذا أصبح من الضّرورة التّوجّه إلى القرآن الكريم، لأنه المنبع الصافي للغة الفصحى السليمة التي يستقي منها المتعلم مادّته اللغوية، والتي تترسّخ يوميّا في الذّهن بفضل التكرار والحفظ حتى تصبح ملكة، فتكسب المتعلم تفوقا وتميزا بين أقرانه.

وحفظ القرآن الكريم يعني استعمال اللغة؛ استماعا وتحدثا وقراءة وكتابة، فمتعلم القرآن يستمع من أستاذه ومعلّمه، ثم يعيد ما سمعه ويكرّره، ثم يكتبه، ثم يقرأه، ثم يحفظه ويستظهره. وهذا هو خلاصة المنهج التداولي الذي يركّز على استعمال اللغة في العملية التعليمية من أجل تحسين المردود التعليمي للمتعلمين.

وممارسة المتعلم للغة في الزوايا والمدارس القرآنية بشكل صحيح؛ استماعا وتحدثا، وقراءة وكتابة تجعله يتفوّق في اللغة العربية؛ أداء وتعبيرا وأسلوبا، حيث تقلّ أخطاؤه الإملائية والنحوية والتعبيرية أو تكاد تنعدم، لامتلاكه ناصية اللغة والتي أصبحت عنده مَلَكَة مكّنته من التفوّق.

وهذا يجعلنا نعيد النّظر في تعليم اللغة العربية في مدارسنا النظامية، ونستثمر نتائج حفظ القرآن في التعليم، وذلك بإدراجه ضمن منهاج اللغة العربية. فالزوايا الصوفية عامة والزاوية التجانية خاصة وكذا المدارس القرآنية تعدّ الملاذ الآمن للمتعلّمين لحفظ كتاب الله

وتكوين ملكة لغوية تحقّق لهم التميز والتفوّق في الدراسة، ومن ثمة "الإنتاج الفكري والعلمي الذي يؤدي بدوره إلى الإنتاج التكنولوجي، والذي لن يتحقق إلا بامتلاكنا للغة التي تعبر عن أفكارنا وإبداعاتنا... فلا توجد حضارة تطورت بلغة غير لغتها الأصلية، ولن يكون مستقبل مجتمع يتقدم يتحضر بلغة أجنبية عنه"[26].

المبحث الرابع: أثر القرآن الكريم في التفوق العلمي

المطلب الأول: مفهوم التفوق العلمي:

يمكن تعريفه إجرائيا بأنّه المستوى الذي يصل إليه المتعلم في تحصيله للمواد العلمية بصفة عامة، ولمادة الرياضيات بصفة خاصة، ويستدلّ عليه من خلال المعدل الفصلي للمادة المتحصل عليه في نهاية الفصل الدراسي أو المعدل العام للمادة المتحصل عليه بنهاية السنة الدراسية وفقا لنظام التقويم بالمدارس النظامية.

ويعتبر التحصيل الدراسي من المعايير الرئيسة في اكتشاف المتفوقين ويتم ذلك بالاطلاع على درجاتهم الفصلية في المواد الدراسية حيث تعتبر أحد المظاهر الأساسية للنشاط العقلي عند الطالب، فالتحصيل الجيد يعتبر مؤشراً للذكاء الذي "ينمو بالتزامن مع النضج اللغوي للفرد، وتحديدا فإن الكلمة هي العامل المؤثر بشكل كبير في التربية العقلية، فلغة الكلام تحفّز قدرة الفرد على الملاحظة والتحليل والاستنباط والمقارنة والتصنيف والاستنتاج وتمثيل الماضي والتّنبّؤ بالمستقبل"[27]. ولأجل ذلك "كانت قدرة الطفل اللغوية دليلا على مستوى ذكائه، وكثيرا ما يلاحظ أن الطفل القاصر في استخدام اللغة أميل أن يكون قاصرا في ذكائه أيضا"[28].

الفرع الثاني: القرآن الكريم ودوره في تحقيق التفوق العلمي

تركز هذه الدّراسة على العلاقة بين حفظ القرآن الكريم والتفوق العلمي، وذلك لكون تنمية مهارات التفكير العلمي أصبحت من أهم أهداف تدريس العلوم، حيث أكدت الاتجاهات الحديثة في التربية على تنمية مهارات التفكير العلمي وتوظيفها في البحث

والاستقصاء وخاصة أن مادة الرياضيات من أهم المواد التي تعمل على تنمية التفكير بشتى أشكاله وأنماطه.

المعالجة الإحصائية لمعدلات الرياضيات:

نصّت الفرضيّة الثانية على: عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التفوق العلمي من خلال معدل مادة الرياضيات بين متعلمي الابتدائي والمتوسط والثانوي الحافظين للقرآن الكريم بالزوايا التجانية. وللتحقق من صحة الفرضية تم حساب النسب المئوية لمعدلات مادة الرياضيات لأفراد العينة، وذلك باعتبار معدل التفوق ما بين (9- 10) للابتدائي، وما بين (15- 20) للمتوسط والثانوي كما هو معمول به بالمدارس النظامية، وجعلنا كل زاوية على حده. والجداول أدناه توضح ذلك:

جدول 6: معدلات اللغة العربية لحفظة القرآن بتماسين

المستوى	نسبة الطلبة المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	جيد	حسن	مقبول	المجموع
ابتدائي	%90	%10	%0	%0	%100
متوسط	%90	%10	%0	%0	%100
ثانوي	%40	%40	%20	%0	%100

المصدر: إعداد الباحثة

من خلال الجدول أعلاه يتّضح جليّا التفوق العلمي لطلبة زاوية تماسين، حيث نجد أن نسبة معدلات مادة الرياضيات مرتفعة (ما بين 9 و10) في الابتدائي، و(ما بين 14 و20) في المتوسط والثانوي، وهذا يدل على أن الحافظ للقرآن الكريم أو لجزء منه يتفوّق علميّا، وليس المقصود مادة الرياضيات فحسب، بل حتى باقي المواد العلمية الأخرى، وإن كان المجال لا يسمح بإدراجها كلها فإن المعدل الفصلي يؤكد ذلك.

وهذا يفنّد الآراء القائلة بأن القرآن الكريم هو سبب التخلف العلمي للأمة الإسلامية، فهذه النتائج أكبر دليل على أن حفظة القرآن الكريم هم من المتفوّقين علميا في المدارس النظامية بكل أطوارها؛ ابتدائي ومتوسط وثانوي، لأن القرآن الكريم يقوّي ملكة التذكّر والتخيّل والإصغاء عند التلقّي والفهم والتّلقّي، وهذه كلها تعدّ ركيزة أساسيّة للمتعلم في تلقّي العلوم والمعارف.

جدول 7: معدلات اللغة العربية لحفظة القرآن بزاوية سيدي الطاهر، الوادي

المستوى	نسبة الطلبة المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	جيد	حسن	مقبول	المجموع
ابتدائي	%90	%10	%0	%0	%100
متوسط	%100	%0	%0	%0	%100
ثانوي	%80	%20	%0	%0	%100

المصدر: إعداد الباحثة

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ ارتفاع معدلات الرياضيات لطلبة الزاوية التجانية سيدي الطاهر بالوادي والمتمدرسين بالطورين؛ الابتدائي، المتوسط والثانوي. وهذا يدل على تفوّقهم العلمي والدّراسي شأنهم في ذلك شأن زاوية تماسين، وهذا يؤكّد الفرضية التي ذهبنا إليها؛ والتي مفادها أنّ حفظ القرآن الكريم له دور كبير في تفوّق المتعلم علميّا.

وذلك لكون القرآن الكريم منبع العلوم كما يقول (السيوطي): "لهو مفجّر العلوم ومنبعها، ودارة شمسها ومطلعها، وأودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى وغيّ، فترى كل ذي فهم منه يستمد وعليه يعتمد فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر منها أولو الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما

يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من حصرها"[29]. وكما يقول الشاعر:

جميع العلم في القرآن ولكن تقاصر عنه أفهام الرجال

جدول 8: معدلات اللغة العربية لحفظة القرآن بالمجمع الثقافي للزاوية التجانية بالهمايسة، حاسي خليفة، الوادي

المستوى	نسبة الطلبة المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	جيد	حسن	مقبول	المجموع
ابتدائي	%60	%40	%0	%0	%100
متوسط	%80	%20	%0	%0	%100
ثانوي	%70	%30	%0	%0	%100

المصدر: إعداد الباحثة

بناء على الجدول نلاحظ التفوق العلمي والتميّز الدراسي لطلبة مدرسة المجمع الثقافي للزاوية التجانية بالهمايسة، حاسي خليفة، الوادي الحافظين لكتاب الله أو لجزء منه في الأطوار الثلاثة؛ ابتدائي ومتوسط وثانوي، وذلك من خلال المعدلات المرتفعة التي تعكس مدى التفوّق.

وهذا يدلّ على أهمية حفظ القرآن الكريم من أجل تحقيق التفوق العلمي، لأن الألفاظ والآيات التي يختزلها المتعلم في ذاكرته بفضل الحفظ "تتحول بتطوّر مراحله العمريّة إلى معان وأفكار فيتّسع بها إدراكه وخياله وتقوى عنده مهارة الإدراك والاستنباط والفهم، والقرآن بحكم دعوة الإنسان إلى التدبّر والتّفكّر، وحثّ آياته على النّظر والسّياحة في الكون والتّأمّل في النّفس ليصل الفرد بنفسه وبعقله إلى الحقائق"[30]. وذلك لقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾. (العنكبوت،22). وقوله أيضا: ﴿وفي أنفسكم أفلا تنظرون﴾. (الذاريات،21).

جدول 9: معدلات اللغة العربية لحفظة القرآن بالمجمع الثقافي للزاوية التجانية بالرقيبة، الوادي

المستوى	نسبة الطلبة المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	جيد	حسن	مقبول	المجموع
ابتدائي	%80	%20	%0	%0	%100
متوسط	%80	%20	%0	%0	%100
ثانوي	%70	%10	%20	%0	%100

المصدر: إعداد الباحثة

بناء على الجدول أعلاه يبدو واضحا التفوق العلمي لطلبة المجمع الثقافي للزاوية التجانية بالرقيبة بولاية الوادي الحافظين لكتاب الله أو لجزء منه في المدارس النظامية الحكومية، لأن حفظ القرآن الكريم والمداومة على تلاوته يقوّي عقول المتعلمين، ويدفعهم إلى التفكير والتخيّل، ويساعدهم على التحصيل الدراسي بصفة عامة والتفوق العلمي بصفة خاصة، فأصول جميع العلوم ومأخذها كعلم الرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافيا وعلوم الطب وعلوم التقنية موجودة في القرآن الكريم، وهذا ما أكّده الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مؤخرا.

فالمتعلم عند حفظه للقرآن الكريم لا يقتصر على اللغة بجميع مهاراتها فحسب، بل يتعدّاها إلى العلم بمهاراته الأساسية والمتكاملة، حيث تشمل المهارات الأولى؛ الملاحظة والقياس والتصنيف والاستنتاج، الاستقراء والاستدلال، التنبّؤ واستخدام الأرقام واستخدام العلاقات المكانية والزمنية والاتصال. بينما تشمل المهارات الثانية؛ تفسير البيانات، التعريفات الإجرائية، وضبط المتغيرات، وفرض الفروض والتجريب.

المبحث الخامس: أثر القرآن الكريم في التحصيل الدراسي

المطلب الأول: علاقة التحصيل الدراسي بالتفوق

يعدّ التحصيل الدراسي أحد المعايير الرئيسة في اكتشاف المتفوقين، لأن التحصيل الممتاز يمثل مؤشراً للذكاء، والذي يعرف بأنه "قدرة المتعلم على التحليل والتخطيط وحل المشكلات والتفكير والتفاعل في محيط بيئته الاجتماعية والتعليمية، ومهارته في اكتساب الألفاظ واختزالها في ذهنه وقدرته على إعادتها في مواقف لغوية مختلفة، وسرعة تعلمه من المواقف الخارجية"[31].

فالذكاء اللغوي ركيزة أساسية للذكاء العلمي والتفوق الدراسي، ولتأكيد ما ذهبنا إليه ارتأينا إدراج النسب المئوية للمعدلات الفصلية للحافظين والحافظات لكتاب الله أو لجزء منه الملتحقين بالزوايا التجانية بتماسين والوادي.

المطلب الثاني: المعالجة الإحصائية للمعدلات الفصلية

إن التفوق اللغوي والعلمي الذي لامسناه عند طلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي دفعنا إلى حساب نسب المعدلات الفصلية لمعرفة مدى نسبة التحصيل الدراسي لديهم. والجدول أدناه يوضّح ذلك:

جدول 10: المعدلات الفصلية لحفظة القرآن الكريم بالزوايا التجانية

الزوايا التجانية	النسب المئوية لمعدلات الفصلين؛ 1و2 لطلبة الزوايا التجانية المتحصلين على تقدير				
	ممتاز	جيد	حسن	مقبول	المجموع
تماسين	%85	%15	%0	%0	%100
سيدي الطاهر	%95	%05	%0	%0	%100
الهمايسة	%90	%10	%0	%0	%100
الرقيبة	%95	%05	%0	%0	%100

المصدر: إعداد الباحثة

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ ارتفاع المعدلات الفصلية لطلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي والمتمدرسين بالأطوار؛ الابتدائي، المتوسط والثانوي. وهذا يدل على تفوّقهم الدّراسي، وهذا يؤكّد الفرضية التي ذهبنا إليها؛ والتي مفادها أنّ حفظ القرآن الكريم له دور كبير في تفوّق المتعلم دراسيّا.

فلو كان لحفظ القرآن الكريم أثر في التفوق في المواد اللغوية فقط؛ اللغة العربية والتربية الإسلامية والاجتماعيات لقربها من لغة القرآن الكريم، لما كانت المعدلات الفصلية مرتفعة هكذا، فالتفوّق الدراسي الذي يبرزه المعدل الفصلي يؤكّد على التفوّق العلمي في جميع المواد؛ الرياضيات، الفيزياء، العلوم...

مناقشة النتائج:

من خلال الجداول السابقة المتعلقة بمعدلات اللغة العربية لطلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي، وعند مقارنة النسب المئوية لمعدلات حفظة القرآن الكريم المتمدرسين؛ بالابتدائي، المتوسط، الثانوي لا نجد فروقا ذات دلالة إحصائية بينهم، بمعنى أن المتعلم يتفوّق في الجانب اللغوي عند حفظه للقرآن مهما كان عمره، ولا يقتصر التفوق على متعلم الابتدائي فقط بحكم صغر سنه. وهذا يدل على أن القرآن الكريم قد أسهم في التفوق اللغوي لطلبة الزوايا التجانية، ما ساعدهم على الحصول على معدل ممتاز أو جيد جدا في اللغة العربية. وبهذه النتيجة نكون قد أجبنا على السؤال الأول للبحث؛ ألا وهو: ما أثر حفظ القرآن الكريم في التفوق اللغوي من خلال معدل اللغة العربية؟

من خلال الجداول السابقة المتعلقة بمعدلات مادة الرياضيات لطلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي، وعند مقارنة النسب المئوية لمعدلات حفظة القرآن الكريم المتمدرسين؛ بالابتدائي، المتوسط، الثانوي لا نجد فروقا ذات دلالة إحصائية بينهم أيضا، وهذا يدل على تفوق المتعلم علميا عند حفظه للقرآن في أيّ سنّ كان، ما يشجع على توجيه غير

المتفوقين، وكذلك الذين يعانون من صعوبات التعلم إلى حفظ كتاب الله لتحقيق التميز مهما كان المستوى الدراسي الذي يزاولونه.

وهذا يؤكد على أن القرآن الكريم قد أسهم في التفوق العلمي لطلبة الزوايا التجانية، ما ساعدهم على الحصول على معدل ممتاز أو جيد جدا أو حسن في مادة الرياضيات. وبهذه النتيجة نكون قد أجبنا على السؤال الثاني للبحث؛ ألا وهو: ما أثر حفظ القرآن الكريم في التفوق العلمي من خلال معدل مادة الرياضيات؟

من خلال الجدول المتعلق بالمعدلات الفصلية لطلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي، وعند مقارنة النسب المئوية لمعدلات حفظة القرآن الكريم المتمدرسين بالابتدائي، والمتمدرسين بالمتوسط، والمتمدرسين بالثانوي لا نجد فروقا ذات دلالة إحصائية بينهم، بمعنى أن المتعلم يتفوّق في الجانب اللغوي والعلمي عند حفظه للقرآن الكريم ما ينعكس إيجابا على تحصيله الدراسي، فيتميز مهما كان عمره. وهذا يؤكد على أن حفظ القرآن الكريم يعد حلا لمشكلات التعليم؛ صعوبات التعلم، الفشل الدراسي، التسرب الدراسي.

وهذا يدل على أن القرآن الكريم قد أسهم في التفوق الدراسي لطلبة الزوايا التجانية، ما ساعدهم على الحصول على معدلات فصلية ممتازة أو جيدة جدا. وبهذه النتيجة نكون قد أجبنا على السؤال الثالث للبحث؛ ألا وهو: ما أثر حفظ القرآن الكريم في التفوق الدراسي من خلال المعدل الفصلي؟

خاتمة:

أظهرت الدراسة مجموعة من النتائج، أهمها:

- ❖ بروز التفوق اللغوي والعلمي لطلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي الحافظين للقرآن الكريم أو لجزء منه والمتمدرسين بالطور الابتدائي والمتوسط والثانوي.

- ظهور التفوق في الدراسة وزيادة في نسبة التحصيل الدراسي لطلبة الزوايا التجانية بتماسين والوادي الحافظين للقرآن الكريم أو لجزء منه والمتمدرسين بجميع الأطوار ما قبل الجامعي.
- إن حفظ القرآن الكريم يسهم في التفوق مهما كان نوعه؛ لغويا، علميا، دراسيا.
- إن حفظ القرآن الكريم يسهم في التفوق مهما كان عمر المتعلم ومستوى دراسته.
- إن حفظ القرآن الكريم يسهم في التفوق مهما كانت البيئة الحاضنة لعملية التحفيظ؛ زاوية صوفية، مدرسة قرآنية، مسجد، جمعية...
- إن هذه النتائج تدعم الدراسات السابقة التي تم عرضها، والتي تؤكد على أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات اللغة العربية؛ الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، وتنمية مهارات التفكير والمهارات العقلية أيضا؛ الملاحظة، الاستنتاج، التذكر...

توصيات الدراسة:

- ضرورة إدراج القرآن الكريم كمادة دراسية أساسية في جميع أطوار التعليم بالمدرسة الجزائرية من أجل معالجة مشكلات التعليم وتحقيق التفوق.
- تشجيع المتعلمين بجميع أعمارهم للالتحاق بالزوايا والمدارس القرآنية لحفظ القرآن.
- ضرورة توعية أولياء الأمور بدور القرآن الكريم في التفوق الدراسي حتى لا يمنعوا أبناءهم من الالتحاق بالزوايا والمدارس القرآنية في فترات الدراسة.
- قيام أقسام القرآن الكريم بكليات الشريعة بدورات تخصصية وتربوية للأساتذة.
- ضرورة تكثيف البحث العلمي حول حفظ القرآن الكريم واستثماره في التعليم.

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد عبد الله درويش، دار اليالخي، دمشق، ط1، 2004، ص740.

[2] المرجع نفسه، 740.

[3] أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي عند الشيخ محمد العيد التجاني التماسيني، دار المجدد، سطيف، الجزائر، ط1، 2023، ص314.

[4] زيد بن علي الغيلي، أثر حفظ القران الكريم في التحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الثانوية في الجمهورية اليمنية، مجلة الدراسات الاجتماعية، اليمن، ع22، يوليو 2006.

[5] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، م1، ص128.

[6] ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984، ج1، ص144.

[7] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط1، 1957، ج1، ص 278.

[8] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1995، ج1، ص15.

[9] البخاري، الصحيح، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ج6، ص192.

[10] الترمذي، السنن، تح: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975، ج5، ص175.

[11] المرجع نفسه، ص177.

[12] ابن منظور، لسان العرب، (مادة طرق).

[13] الشيخ أحمد التجاني هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم، المولود سنة (1150هـ/1737م) بقرية عين ماضي بولاية الأغواط بالجزائر، حفظ القرآن الكريم في السابعة من عمره، وما بلغ الخامسة عشر حتى أتمّ الدراسة بعين ماضي وتحصّل على كل ما يلزمه من علم النحو واللغة. ثمّ مال إلى طريق الصوفية فأخذ العلم عن كبار علماء فاس كالشّيخ الدّقاق والشّيخ السجلماسي، وعلماء مصر، مثل: الشّيخ محمود الكردي، وعلماء الحجاز كالشّيخ أحمد بن عبد الله الهندي في مكة، والشّيخ السّمّان في المدينة المنوّرة إلى أن تصدّر للتّدريس وأسّس طريقته. درّس في الأبيض سيدي الشّيخ والجامع الكبير بتلمسان، وفي جامع الزّيتونة بتونس. ثم رحل إلى فاس مدينة العلم والعلماء سنة 1798م، وبقي فيها يدرّس ويفتي ويربّي وقد أقبل عليه النّاس من كلّ جهة يأخذون عنه العلم والتّربية وينضمّون إلى مدرسته التجانية التي بدأت في الانتشار شيئا فشيئا، إلى أن وافته المنيّة سنة 1230هـ/1815م. (ينظر: الحاج علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس أحمد التجاني/ تح: محمد الراضي كنون، دار الرشاد، المغرب، 2011، ص96 وما بعدها).

[14] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، 2000، مج 10، ص 220.

[15] الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان، 2000، ص2453.

[16] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص408.

[17] ينظر: أحمد زردومي، محمد الصالح مسعي أحمد، الزوايا بين الماضي ومتطلبات المعاصرة: قراءة في بعض مظاهر التحديث لدى بعض زوايا الطرق الصوفية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، ع12، جوان2018، ص268.

[18] ينظر: نورالدين الزاهي، الزاوية والحزب، الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، إفريقيا للنشر، المغرب، ط3، 2011، ص 06.

[19] أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي، ص359، 360.

[20] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية الوطنية، مصر، 2003، ص706.

[21] حسن عمران حسن عمران، برنامج قائم على معايير التفوق في اللغة العربية لتنمية المفاهيم اللغوية لدى التلاميذ الفائقين بالصف الثاني الإعدادي، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة أسيوط، مصر، يوليو 2021، ص545.

[22] عبد القادر الشايط، القيم الاخلاقية في القرآن الكريم، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، م5، ع2، ديسمبر 2021، ص428.

[23] مصطفى عبد الهادي عبد الستار محمد، دور القرآن الكريم في تنمية لغة الطفل، مجلة بحوث كلية الآداب، المنوفية، جامعة الأزهر، مصر، م33، ع1، يوليو2022، ص56.

[24] كايسة عليك، تنمية مهارة القراءة الناقدة في ضوء نظرية التلقي "مرحلة التعليم الثانوي أنموذجا"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، م6، ع2، أكتوبر 2022، ص1001.

[25] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص378.

[26] محمد خماد، واقع إصلاحات المنظومة التربوية في المدرسة الجزائرية، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، م6، ع2، أكتوبر 2022، ص40.

[27] سرجيو سبيني، التربية اللغوية للطفل، دار الفكر العربي، مصر، 2001، ص09.

[28] عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص42.

[29] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص03.

[30] مصطفى عبد الهادي، دور القرآن في تنمية لغة الطفل، ص90، 91.

[31] أديب عبد الله النوايسة وإيمان القطاونة، النمو اللغوي والمعرفي عند الطفل، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، مصر، 2015، ص55.